المحاضرة 09:

ليبيا والحرب العالمية الثانية وخروج إيطاليا 1943:

1- ليبيا قبيل الحرب العالمية الثانية:

استطاعت الفاشية أن تصل إلى الحكم في إيطاليا في 30 أكتوبر 1922 تحت قيادة موسوليني الذي أصبح رئيسا للحكومة، وقد غيرت سياستها اتجاه المستعمرات تماما، واستطاعت أن تستولي على الحبشة سنة 1936، كما انضمت إلى ألمانيا في تحالف عام 1937، ولما كانت بوادر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق كانت ليبيا من المواقع الاستراتيجية التي من شأنها خوض غمار الحرب بما أنها كانت مستعمرة إيطالية، لذلك سارعت إيطاليا لبناء جدار في ليبيا على الشرقية مع مصر (1934-1937م)، كما شقت طريقا للسيارات من الحدود التونسية إلى الحدود المصرية لتضمن سرعة تنقل قواتها، كما أنشأت مطارات وقواعد حربية عديدة على المناطق الحدودية بالخصوص.

أحست بريطانيا التي كانت تحتل وتتموقع في مصر بالأخطار المحدقة بها أمام التحركات الإيطالية خاصة بعد التحالف النازي-الفاشي والتركي، فإيطاليا كانت تريد احتلال مصر والسودان وتسيطر على قناة السويس لتحل محل بريطانيا، كما كانت تفكر في حال وصلت إلى المنطقة إعطاء لبنان وسورية الاستقلال، وأن تحتل الأماكن الاستراتيجية في فلسطين والأردن، لذلك استصدرت مجموعة من القوانين لتتمكن في ليبيا أكثر وقد رأينا ذلك سابقا بحيث تحصلت على أراضي واسعة، وفرضت قانون الجنسية بدءا من 1937، كما فرض التجنيد الاجباري على الليبيين البالغين من العمر 18 إلى 40 سنة.

من جهة أخرى بدأت تغري الليبيين وتستعمل سياسة الترغيب، من أجل استمالتهم للانخراط في الجيش الإيطالي، وقد أصدر المجلس الفاشي بموجب هذا قرارا يقضي باستفادة السكان من الأراضي وعوائدها، كما نص القرار على اشراك الأعيان في تكوين الإدارات البلدية للمدن الكبرى، ومنحهم امتيازات، وفي سنة 1939 ألحقت أربع مناطق شمالية من ليبيا وهي طرابلس ومصراتة وبنغازي ودرنة بإيطاليا تحت مسمى **"ليبيا الإيطالية"**. وهكذا أُلحقت المستعمرة الليبية رسمياً بإيطاليا واعتُبرت جزءاً لا يتجزأ منها في جانفي 1939م.

2- ليبيا والحرب العالمية الثانية:

لقد أولت الحكومة الفاشية اهتماماً كبيراً لتعبئة سكان ليبيا للحرب وخاصة منهم المستعمرين الإيطاليين, حيث أشرف الإيطاليون على تدريب الليبيين وتسليحهم ودفع رواتبهم, وبلغ عددهم سنة 1940م ما يزيد على 110 آلاف, منهم 20 ألف جندي, بقيادة 120 من الضباط الليبيين, وكانت الرتب العسكرية تمنح لهؤلاء الضباط بناءاً على اختيار الكولونيل البريطاني لهم, باسم القائد الأعلى للقوات البريطانية.

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية انتظرت إيطاليا انهيار فرنسا مع ألمانيا وانضمت إلى الحرب، معلنة الحرب على بريطانيا في 10 سبتمبر 1940، وشنت عليها هجومات من ليبيا على قواتها المتمركزة في الحدود المصرية وكان الهدف هو الوصول الى قناة السويس، وقد تقدمت القوات الايطالية في الأراضي المصرية واشتبكت مع القوات الإنجليزية في مرسى مطروح.

وقد لاحت أول فرصة أمام الليبيين لتحرير أنفسهم من الحكم الإيطالي في بداية الحرب العالمية الثانية, وبدخول إيطاليا الحرب في 10 جوان 1940م, كثّف الليبيون جهودهم الرامية على وضع سياسة مشتركة, مع تخوف البعض منهم من التقارب الذي حدث بين البريطانيين وإدريس السنوسي؛ هذا الأخير الذي بدأ في إعداد قوة عربية ليبية تحت إشراف بريطانيا لتقاتل جنباً إلى جنب مع البريطانيين ضد ألمانيا وإيطاليا.

حاول الليبيون الاستثمار في الوضع ورأوا في ذلك الفرصة المناسبة لطرد الإيطاليين الغزاة من أراضيهم، لذلك طلبوا الانضمام إلى بريطانيا، وكانت وقتها تنشط كثير من الجمعيات السياسية الليبية في مصر والشام وتونس، وقد اتصلت بريطانيا أيضا ببعض الأعيان الليبيين وعلى رأسهم ادريس السنوسي، وأحمد السويحلي في مصر، والبشير السعداوي في سورية ووعدتهم أنه في حال قدموا مساعدات لبريطانيا وثاروا ضد الليبيين ستقدم لهم مساعدات للتحرر بعد نهاية الحرب.

كان أغلب النشاط السياسي في بلاد المهجر في هذه الفترة، لذلك عقد ادريس السنوسي اجتماعا بتاريخ 19 أكتوبر 1939 حضرته أكثر من 50 شخصية من أعيان ليبيا وذلك في بيته بحضور قادة من

الانجليز، وقد عرض الانجليز على ادريس والليبيين مبالغ وأجور عالية للجنود الذين سيشاركون في الحرب، لكن هذا الطلب رفض لأن الليبيين ليسوا مرتزقة وكان هدفهم التحرير وليس المال.

عقد بعدها بقارد سيتي (Garde city) لقاء بتاريخ 8 أوت 1940 التقى فيه ادريس السنوسي بولسون قائد الجيوش البريطانية بمصر، وقال له أن الليبيين مستعدون للوقوف مع بريطانيا في حال أعلنت إيطاليا الحرب عليكم، لذلك سيحاول ادريس السنوسي بعد بداية الحرب تشكيل قوة ليبية على الحدود المصرية للقتال، وانعقدت جمعية وطنية ليبية لمناقشة المباحثات الليبية البريطانية التي قام بها ادريس السنوسي، وتم اختار قادة الفرق التي ستشارك في الحرب، وكانت الأولوية للقادة الذين شاركوا من قبل في مقاومة الايطاليين، والذي يتمتعون بخبرة في معرفة مسالك المنطقة والصحاري والشعاب الليبية، وقد انبثقت من الجمعية الوطنية وثيقة مما جاء فيها:

– وضع الثقة في دولة بريطانيا العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص الوطن من الاستعمار الإيطالي الغاشم.

– اعلان الإمارة السنوسية ووضع الثقة التامة في الأمير محمد ادريس السنوسي.

– تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة وتكوين مجلس شوري للأمير المشار إليه.

– خوض غمار الحرب ضد إيطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية.

– تعيين حكومة سنوسية تدير شؤون الأزمة في الوقت الحاضر مؤقتا.

– تعيين هيئة تجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية.

– السعي لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير لطلب المخصصات اللازمة لإدارة الحكومة، ووضع ميزانية خاصة ونظام مؤقت.

– تفويض سمو الأمير ادريس بمراجعة الدولة البريطانية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات السياسية والحربية التي تتضمن للوطن حريته واستقلاله.

ولعل المطلع على هذه القرارات يلحظ كيف أن السنوسية حاولت ترسيخ وجودها والاستثمار في المرحلة وقدمت مطالب عدة لكي تضمن لنفسها الوجود والحكم بعد نهاية الحرب، لذلك وبتاريخ 12 أوت 1940 افتتح أول مكتب ليبي للتجنيد بالقاهرة، وقد كان الكابتن الإنجليزي أندرسون هو ضابط الاتصال البريطاني بجانب عمر فائق شنيبي، وقد تكونت القوات الليبية وقتها من 14000 مقاتل، و120 ضابط ليبي.

ابتدأت الهجومات يوم 10 ديسمبر 1940 مع قوات الجنرال البريطاني "ويفل" وتشكل ما اصطلح عليه "**بجيش تحرير ليبيا**"، أما بريطانيا فقد تحفظت على التسمية وسمته "**الجيش السنوسي البريطاني**" لئلا تفلت زمام الأمور من بين أيديها، وقد كلف هذا الجيش بجمع المعلومات والتخريب والدخول في معارك أحيانا، وقد أقيمت معسكرات تدريب عديدة في مصر: كمعسر **أمبابة** والذي كان يتواجد به ما يزيد عن 4000 جندي ليبي، ولقد ساهمت القوات الليبية مساهمة فعالة في الحرب، وحتى المدنيون كانوا يقومون بإرسال الرسائل والمعلومات حول تحركات الايطاليين بالداخل، أو تقديم المؤون واسعاف الجرحى، كما كانوا يقومون بإرشاد قوات الحلفاء إلى المسالك الصعبة في الصحاري الوعرة، ولعل المدن الليبية تضررت كثيرا بفعل المعارك وعمليات القصف المتكررة، فمدينة طرابلس لوحدها على سبيل المثال تعرضت لحوالي 2000 غارة ما بين 1941-1949 وبالخصوص مينائها.

وقد استطاع الحلفاء القيام بواجبهم على أحسن ما يكون بفضل ما قدمه لهم المواطنون الليبيون من مساعدة في جمع المعلومات الحربية, تخريب ما يمكن الوصول إليه من معدات لقوات المحور, وتدمير مخازن أسلحتهم بغية عرقلة انسحابهم أمام قوات الحلفاء, بالإضافة إلى ذلك كان المواطنون الليبيون يخاطرون بحياتهم من أجل إنقاذ حياة الجنود والضباط البريطانيين الفارين من الأسر.

وهكذا كان لحماس أفراد جيش التحرير الليبي المشارك إلى جانب قوات الحلفاء بقيادة البريطانيين دور فعال في إلحاق الهزيمة بقوات المحور, وجاء هذا الموقف نابعاً من إيمان الشعب الليبي وفصائله المحاربة أن هزيمة الإيطاليين ستؤدي حتما إلى انتزاع استقلال بلادهم واستكمال سيادته.

3- معركة العلمين:

العلمين تقع شرق مرسى مطروح وغرب الإسكندرية، وقد شهدت إحدى أعنف المعارك في التاريخ المعاصر، فكانت معركة حاسمة، ونشير إلى أن الجنرال البريطاني **"ويفل"** كان قد وصل بقواته إلى بنغازي في 8 ديسمبر 1940، ودخلها عام 1941، واشترك معه عدد كبير من الليبيين في عملية الزحف، وقد توقفت العمليات بين الطرفين في انتظار الامدادات شهر أوت 1942، لكن لما وصلت الامدادات الى قوات المحور اخرجوا البريطانيين من بنغازي مجددا في 1942، كما نزلت قوات الحلفاء بشواطئ المغرب

العربي في 8 نوفمبر 1942، ولكن نتيجة للهجومات المكثفة التي قام بها رومل تراجعت القوات الإنجليزية عائدة الى الخلف، وبدأ بالإعداد لحملة على مصر، ودخلت قوات المحور الأراضي المصرية بتاريخ 30 جوان 1942، فتوسعت قوات رومل ووصلت الى العلمين (80 كلم عن الإسكندرية)، وقد حدثت معارك كثيرة هناك، خاصة لما استعان رومل ثعلب الصحراء **"بالفيلق الافريقي"** واستطاع دفع قوات ويفل البريطانية إلى الخلف، لكنها قوات المحور عموما سرعان ما بدأت بالتراجع نتيجة انهزامها في ستالينغراد وعدم تزودها بدعم كافي، وبالتالي هزم رومل في المعركة بالرغم من الدعم المعنوي الذي كان يلقاه من هتلر شخصيا في هذه المعركة، وقد شارك كثير من الليبيين في هذه المعركة واستشهد عديد منهم.

كانت القوات البريطانية تضيق الخناق على قوات المحور من الشرق، والقوات الفرنسية تضيق الخناق عليها من الغرب والجنوب قادمة من الجزائر وتونس والصحراء، وبالوصول إلى سنة 1943 كان القطر اللّيبي كله محررا من قوات المحور والايطاليين.

بعد خروج الطليان من ليبيا دعت اللجنة الطرابلسية الموجودة في مصر إلى إقامة احتفال بالجمعية الزراعية المليكة في مصر ابتهاجا بالنصر، أما بريطانيا فاكتفت بشكر الشعب الليبي وعلى رأسهم ادريس السنوسي لدعمه للحلفاء، وتلقى وعودا من طرف البريطانيين بعدم السماح للإيطاليين للعودة إلى برقة مجددا، وفي 1 فيفري 1943 انتهت الحرب في ليبيا ونسحب قوات المحور عن طريق تونس، وقد اختلفت الدول الكبرى بعد هزيمة إيطاليا على كيفية اقتسام الغنائم والمستعمرات الايطالية السابقة، وقامت بريطانيا بالاستلاء على ممتلكات إيطاليا في: مقديشو، ارتيريا، الحبشة، أديس أبابا، مدغشقر.

4- ليبيا بعد خروج الايطاليين:

كانت الشكوك تُساور الليبيين في نوايا بريطانيا بعد انتهاء الحرب, واتضحت هذه النوايا بعد هزيمة إيطاليا الفاشية وسقوط كل من بنغازي وطرابلس تحت السيطرة البريطانية ما بين سنتي 1942م, و 1943م, وكان الهدف البريطاني للفصل بين إقليمي طرابلس الغرب وبرقة ومنح فرنسا حق السيطرة على فزان تحقيقاً لسياسة فرق تسد؛ فقد رأى الليبيون بلادهم وهي تقسم بين بريطانيا وفرنسا, وبذور الفرقة وهي تُغرس بين صفوفهم ورأى الكثيرون في هذه الإجراءات دعماً لإدريس الذي كان يبدو, في أعين الليبيين والعرب بوجه عام, أداة في أيدي البريطانيين.

وهكذا أصبحت هاتان الدولتان تتحكمان في مصير ليبيا ضد رغبات الشعب الليبي, وبعد كثير من المفاوضات, تمّ الاتفاق على منح برقة استقلالها في 01 جوان 1949م والذي اعترف به الإنجليز, إلا أن إصرار الليبيين على استقلال ليبيا بالكامل ضمن للقضية الليبية مكاناً في جداول أعمال المؤتمرات التي عقدتها الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية كما نقل الليبيون قضيتهم إلى هيئة الأمم المتحدة.

وعليه قسمت ليبيا بعد خروج الايطاليين منها إلى ثلاثة أقاليم: **برقة** و**طرابلس** أخذتهما بريطانيا، و**فزان** عادت لصالح فرنسا، وطبق الحكم العسكري في هذه المناطق، ثم قسمت فزان الفرنسية إلى ثلاثة مناطق وهي:

– **غدامس** وألحقت عام 1947 بتونس لتسهيل إدارتها.

– **فزان:** كان يديرها حاكم يعينه وزير الداخلية بتونس باتفاق مع رئيس الحكومة الفرنسية ويرجع عادة إلى الحاكم العام بالجزائر.

– **غات:** يديرها حاكم عام الجزائر.

واجهت الإدارة البريطانية عدة مشاكل في ليبيا بعد نهاية الحرب، خاصة أمام انهيار الاقتصاد الليبي، وانعدام المؤونة، وشل حركة النقل والتجارة، فوجدت بريطانيا وحكامها العسكريون صعوبة في تسيير المرحلة والانتقال بشكل سلس، خاصة أمام تزايد مطالب الاستقلال وتقرير المصير التي كانت ترفعها الأحزاب السياسية والشخصيات المقاومة، لذلك لم تكن قادرة على الخروج بقرار نهائي حول ليبيا، لأنها كانت مستعمرة إيطالية سابقة، فكان عليها انتظار ما ستسفر عنه مفاوضات الصلح حتى يتم الفصل في القضية،

لذلك اخلفت بريطانيا بالوعود التي قدمتها للسنوسي سابقا، وتحججت بأنها لا تستطيع المساس بالمعاهدات والقوانين التجارية السابقة التي أقرتها إيطاليا في ليبيا، لأن هذا يخالف معاهدة لاهاي 1907 الخاصة بمعاملة الأراضي المحتلة.

حاولت بريطانيا التفريق بين طرابلس وبرقة، وقربت العناصر الموالية لها، ووزعت عدة مناشير دعائية خاصة عقب نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 تقول فيها أن بريطانيا ستحمي ليبيا، لكن على الليبيين عدم المطالبة بمطالب سياسية إلا بعد نهاية الحرب، وقد استندت لتلك المنشورات في تبريرها وتنصلها عديد المرات، بالرغم من الوعود التي قدمتها بريطانيا الى السنوسيين إلا أنها حاولت إعادة الايطاليين إلى ليبيا مجددا عن طريق الهجرة السرية، فمنحتهم مناصب إدارية ووظيفية، في سبيل خدمة مصالح ما بعد الحرب، خاصة وأن الايطاليين كانوا يمتلكون دراية واسعة في كيفيات تنظيم شؤون الإدارة المحلية والمعاملة مع السكان.

أما عن النشاط السياسي فقد سمحت به بريطانيا في برقة ولصالح السنوسيين فقط، على أن يكون في حدود المعقول ولا يهدد مصالحها هناك، وقد قدم الليبيون عدة عرائض ومطالب لكن دون جدوى إلى غاية نهاية الحرب، أما مع نهاية الحرب أصبحت ليبيا تسيل لعاب عديد الدول، وتدخلت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي لتفعيل نشاطيهما في حوض البحر الأبيض المتوسط.